

بسم الله الرحمن الرحيم

**الجحود**

**في القران الكريم**

**"دراسة موضوعية"**

إعداد وجمع الطالب:

**عبد الله محمد أيوب كُلاَّب**

فلسطين غزة

2014/2015م

إهداء

إلى أمي وأبي........

إلى أهلي وعشيرتي........

إلى أساتذتي........

إلى زملائي...........

إلى الشموع التي تحترق لتضيء للآخرين

إلى كل من علمني حرفاً

أهدي هذا البحث المتواضع راجياً من المولى

عز وجل أن يجد القبول والنجاح

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، أما بعد:

مما لاشك فيه إن عذاب جهنم اليم لا يمكن للإنسان أن يطيقه ويتحمله ولو للحظة واحدة وهذا ما صرحت به النصوص الشريفة التي نقلناها لكم في هذا البحث ولذلك ينبغي لكل إنسان أن يتجنب كل ما يوقعه في عذاب النار.

أو يبادر إلى التوبة الصادقة النصوح إذا وقع في أي معصية لان التوبة الصادقة مقبولة وبها يدفع الله عن التائب العذاب الأخروي وإذا كان تحمل عذاب النار للحظة واحدة امراً لا يطيقه إنسان فكيف ـ والعياذ بالله ـ الحال إذا كان الإنسان من الخالدين فيها؟

إن الخلود في نار جهنم هو نتيجة لمجموعة من المعاصي الاعتقادية والعملية التي يتأكد على طلاب النجاة اجتنابها.

ومن عظيم رأفة الله عز وجل بعبادة إن حذر مراراً وتكراراً وبصيغ مختلفة من المعاصي الاعتقادية التي تسبب الخلود في النار.

وبين أيدينا كثير من الآيات الكريمة الواردة في هذا المجال.

**أولاً: أهمية البحث:**

1. تكمن أهمية هذا البحث في تعريف المسلمين أهم وأخطر أسباب الجحود في القران الكريم، لأن هذه الجريمة منتشرة عبر التاريخ، وتتكاثر في أيامنا هذه.

**ثانياً: أهداف البحث:**

1. إثبات وتوضيح أهم وأخطر أسباب الجحود.
2. نيل رضا الله عز وجل لأن الجحود من أسباب منع النّعم ومنع نزولها وزوالها بعد حصولها
3. تجنيب المسلمين من الجحود لأنه يسبّب غضب الله عزّ وجلّ ولأن فيه تشبّه باليهود والكفّار والملحدين وتحذيرهم من: العقاب في الآخرة، والعقاب في الدنيا، والخلود في النار.

**ثالثاً: منهج البحث:**

1. تناول البحث موضوع في القرآن (الجحود في القران الكريم) بالدراسة الموضوعية القرآنية المبنية على: الاستدلال والتحليل والاستنباط،والإجمال،واستخراج الهدايات والتوثيق**.**

**رابعاً: خطة البحث:**

* **المبحث الأول: مفهوم الجحود**

1. **المطلب الأول:** المعنى اللغوي والاصطلاحي.
2. **المطلب الثاني:** الجحود في الاستعمال القرآني.

* **المبحث الثاني: أنواع الجحود**

1. **المطلب الأول:** وكفر الجحود نوعان

* **المبحث الثالث:** **الجاحدون من أكبر النادمين**
* **المبحث الرابع:** **الجاحدون سفهاء ظالمون**

1. **المطلب الأول:** الجحود بآيات الله والاستكبار عن الحق وتكذيب النبي
2. **المطلب الثاني:** أعظم الظلم الجحود لنعم الله
3. **المطلب الثالث:** وصف القرآن الكريم من يجحد بآيات الله بالكفر وبالظّلم
4. **المطلب الرابع:** وصف القرآن الكريم من يجحد بآيات الله بأهل الإفك والختر
   * + المقصد الأول: من يجحد بآيات الله من أهل الختر
     + المقصد الثاني: من يجحد بآيات الله من أهل الإفك
5. **المطلب الخامس: الجحود سمة الكافرين السابقين**
   * + المقصد الأول: أن يعتبرواالطغاة والكافرين **من** عاد لأنهم اتبعوا أمر كل جبار عنيد
     + المقصد الثاني: جحدوا الآيات وكفروا بالله سبحانه وهذه نهاية الظالمين
     + المقصد الثالث: **الجحود من عوامل الاستكبار والغرور**
     + المقصد الرابع**: الجاحد بآيات الله لن يغني عنه سمعه، ولا بصره، ولا فؤاده، وحرم نفسه من نعمة الله الّتي أنعم الله بها عليه**
     + المقصد الخامس: نتيجة **الجحود هي الخلود في النّار** والعذاب الشديد

* **الخاتمة.**
* **أهم التوصيات.**
* **فهرس المصادر والمراجع.**

المبحث الأول: مفهوم الجحود

المطلب الأول: المعنى اللغوي والاصطلاحي.

**الجحود لغة:**

الجحود والجحد مصدر قولهم: جحد يجحد جحدا وجحودا وهو مأخوذ من مادّة (ج ح د) الّتي تدلّ على قلّة الخير. يقال: عام جحد: قليل المطر، والجحد من كلّ شيء، القلّة.

وقال الشّيبانيّ: أجحد الرّجل وجحد إذا أنفض وذهب ماله... ومن هذا الباب الجحود، ولا يكون إلّا مع علم الجاحد به أنّه صحيح. قال الله تعالى: {وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ{ (النمل/ 14) وما جاء جاحد بخير قطّ [[1]](#footnote-1).

ويقول الجوهريّ: الجحود: الإنكار مع العلم.

يقال: جحده حقّه وبحقّه، والجحد أيضا: قلّة الخير، وكذلك الجحد بالضّمّ... والجحد بالتّحريك مثله.

يقال: نكدا له وجحدا.

وجحد الرّجل- بالكسر- جحدا، فهو جحد إذا كان ضيّقا قليل الخير، وأجحد مثله[[2]](#footnote-2).

وقال الرّاغب: يقال: رجل جحد شحيح، قليل الخير، يظهر الفقر... وأجحد: صار ذا جحد[[3]](#footnote-3).

والجحد والجحد: الضّيق في المعيشة، يقال :جحد عيشهم جحدا، إذا ضاق واشتدّ[[4]](#footnote-4).

وجحد فلانا: صادفه بخيلا، قليل الخير..

وجحد: نكد. وفرس جحد- ككتف- غليظ قصير، وجمعه جحاد[[5]](#footnote-5).

**الجحود اصطلاحاً:**

قال الجرجانيّ: هو عبارة عن الإخبار عن ترك الفعل في الماضي[[6]](#footnote-6).

يقول الرّاغب: الجُحُود: نفي ما في القلب إثباته، وإثبات ما في القلب نفيه، يقال: جَحَدَ جُحُوداً وجَحْداً قال عزّ وجل: وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ (النمل/ 14)، وقال عزّ وجل: بِآياتِنا يَجْحَدُونَ (الأعراف/ 51). وتَجَحَّدَ تَخَصَّصَ بفعل ذلك، يقال: رجل جَحِدٌ: شحيح قليل الخير يظهر الفقر، وأرض جَحْدَة: قليلة النبت، يقال: جَحَداً له ونَكَداً، وأَجْحَدَ: صار ذا جحد. [[7]](#footnote-7).

وقال المناويّ: الجحد إنكار ما سبق له وجود، وهو خلاف النّفي [[8]](#footnote-8).

**الفرق بين النفي والجحد:**

الجحد مختصّ بالماضي، والنّفي عامّ يشمل الماضي والحاضر، والجحد يقال فيما ينكر باللّسان دون القلب، والنّفي يقال فيهما، والنّافي إذا كان كلامه صادقا يسمّى كلامه نفيا، ولا يسمّى جحدا، قال تعالى: {ما كانَ مُحَمَّدٌ أَبا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ} (الأحزاب/ 40) فهذا نفي، وإن

كان كاذبا يسمّى جحدا ونفيا كما في قوله تعالى: {وَجَحَدُوا بِها وَاسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ} (النمل/ 14) [[9]](#footnote-9).

المطلب الثاني: الجحود في الاستعمال القرآني**.**

**لقد نعى القرآن الكريم على المشركين وأهل الكتاب جحودهم بآيات الله رغم معرفتهم بها، وشدّد النّكير عليهم فوسمهم بالظّلم**، في قوله سبحانه {وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (الأنعام/ 33).

**وقد كان هذا الجحود سببا للعنة قوم عاد وإبعادهم** {وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ\* وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ} (هود/ 59- 60)

**وقد وصف القرآن الكريم من يجحد بآيات الله بالكفر حينا وبالظّلم حينا فقال- عزّ من قائل-:**

{وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ} (العنكبوت/ 47)، وقال سبحانه {وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ} (العنكبوت/ 49)

**وجاء وصفهم بأنّهم أهل الإفك والختر، فقال تعالى**:{ كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (غافر/ 63)

وقال سبحانه: {وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ} (لقمان/ 32)

**وقد أوضح المولى- عزّ وجلّ- أنّ الجحود من عوامل الاستكبار والغرور**

**فقال سبحانه**: {فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ} (فصلت/ 15)

**إنّ الجاحد بآيات الله لن يغني عنه سمعه ولا بصره، ولا فؤاده، وكأنّه حرم نفسه من نعمة الله الّتي أنعم الله بها عليه، يقول سبحانه:** {وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ} (الأحقاف/ 26)

**والنّتيجة الحتميّة للجحود هي الخلود في النّار وفوق ذلك فإنّهم أعداء لله فاستحقّوا بذلك الوعيد الشّديد**

{ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ} (فصلت/ 28)

**المبحث الثاني: أنواع الجحود**

**المطلب الأول: كفر الجحود نوعان:** كفر مطلق عام، وكفر مقيد خاص.

**فالمطلق:** أن يجحد جملة ما أنزله الله، وإرساله الرسول.

**والخاص المقيد**: أن يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبرا أخبر الله به، عمدا، أو تقديما لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض**.**

وأما جحد ذلك جهلا، أو تأويلا يعذر فيه صاحبه فلا يكفر صاحبه به، كحديث الذي جحد قدرة الله عليه وأمر أهله أن يحرقوه ويذروه في الريح، ومع هذا فقد غفر الله له، ورحمه لجهله، إذ كان ذلك الذي فعله مبلغ علمه، ولم يجحد قدرة الله على إعادته عنادا أو تكذيبا.[[10]](#footnote-10)

**المبحث الثالث:** **الجاحدون من أكبر النادمين**

**{وَنادى أَصْحابُ النَّارِ أَصْحابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنا مِنَ الْماءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُما عَلَى الْكافِرِينَ \* الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْواً وَلَعِباً وَغَرَّتْهُمُ الْحَياةُ الدُّنْيا فَالْيَوْمَ نَنْساهُمْ كَما نَسُوا لِقاءَ يَوْمِهِمْ هذا وَما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ} (الأعراف50/51 )**

يقول تعالى مخبراً عن أصحاب النار وأصحاب الجنة {ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء} [[11]](#footnote-11)

وذلك لشدة عطشهم {أو مما رزقكم الله} أي من الطعام وذلك لشدة جوعهم فيقال لهم: {إن الله حرمهما} أي شراب الجنة وطعامها {على الكافرين} فلا ينالوهما بحال من الأحوال.

وصف الكافرين ليعرض جرائمهم التي اقتضت حرمانهم وعذابهم ليكون ذلك عظة وعبرة للكفار من قريش ومن سائر الناس فقال وهو ما تضمنته الآية {الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون} أي نتركهم في عذابهم كما تركوا يومهم هذا فلم يعملوا له من الإيمان والصالحات، وبسبب جحودهم لآياتنا الداعية إلى الإيمان وصالح الأعمال[[12]](#footnote-12).

تفسير إجمالي لهذه الآية

وينتهي الحساب ويدخل أهل الجنة الجنةَ متنعمين بما فيها من رزق وخير، ويدخل أهل المار النارَ فيقاسون حرَّها وهولها، ويشتد عليهم الكرب، فينادون أهل الجنة مستغيثين: أعطونا شيئاً من الماء أو من الرزق الذي رزقكم الله إياه، فيرد أهل الجنة علي أهل النار : إن الله حرمها علي الكافرين بسب كفرهم وجحودهم ونسيانهم لقاء يومهم هذا. ولأنهم اتخذوا دينهم لهوًا ولعباً

فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله واغترّوا بالدنيا ومتاعها، فركنوا إليها، واطمأنوا بها.

**الهديات المستنبطة من الآية:**

إن أهل الجنحة يردون علي أصحاب النار أن الله عز وجل حرم الماء والرزق علي الكافرين الذين يجحدون بآيات الله، فلا نواسيكم بشيء مما حرمه الله عليكم لأنكم ما كنتم تقيمون للدين وزنـــًا، ولا تعرفون له قدراً بل اتخذتم الدين لهواً ولعباً وركنتم إلي الحياة الدنيا واغتررتم بشهواتها ومتعها الفانية.

**المبحث الرابع:** **الجاحدون سفهاء ظالمون**

**المطلب الأول**: **الجحود** بآيات الله والاستكبار عن الحق **وتكذيب النبي**

**{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (الأنعام 33)**

أسباب نزول الآية:

قال السدي: التقى الأخنس بن شريق وأبو جهل بن هشام، فقال الأخنس لأبي جهل: يا أبا الحكم أخبرني عن محمد أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس هنا من يسمع كلامك غيري، فقال أبو جهل: والله إن محمدا لصادق، وما كذب محمد قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والندوة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية[[13]](#footnote-13).

ليحزنك: أي لوقعك في الحزن الذي هو ألم النفس من جراء فقد ما تحب من هدايتهم أو من أجل ما تسمع منهم من كلم الباطل كتكذيبك وأذيتك

فإنهم لا يكذبونك: أي لا ينسبونك إلى الكذب في بواطنهم ومجالسهم السرية لعلمهم اليقيني أنك صادق.

هذه الآيات من تربية الله تعالى لرسوله وإرشاده لما يشد من عزمه ويزيد في ثباته على دعوة الحق التي أناط به بلاغها وبيانها فقال له تعالى: {قد نعلم أنه} أي الحال والشأن، {ليحزنك الذي يقولون} أي الكلام الذي يقولون لك وهو تكذيبك واتهامك بالسحر، والتقول على الله، وما إلى ذلك مما هو إساءة لك وفي الحقيقة إنهم لا يكذبونك[[14]](#footnote-14) لما يعلمون من صدقك وهم يلقبونك

قبل إنبائك لهم وإرسالك بالأمين ولكن الظالمين هذا شأنهم فهم يرمون الرجل بالكذب وهم يعلمون أنه صادق ويقرون هذا في مجالسهم الخاصة، ولكن كي يتوصلوا إلى تحقيق أهدافهم في الإبقاء على عاداتهم وما ألفوا من عبادة أوثانهم يقولون بألسنتهم من نسبتك إلى الكذب وهم يعلمون أنك صادق غير كاذب فإذا عرفت هذا فلا تحزن لقولهم[[15]](#footnote-15).

قال الإمام الطبري: ((يقول تعالى ذكره: إن الذين يكذبونك من هؤلاء الكفار، يا محمد، فيحزنك تكذيبهم إياك،لو أشاء أن أجمعهم على استقامة الدَّين، وصوابٍ من محجة الإسلام، حتى تكون كلمة جميعكم واحدة، وملتكم وملتهم واحدة، لجمعتهم على ذلك، ولم يكن بعيداً عليَّ، لأنّي القادرُ على ذلك بلطفي، وكنيلم أفعل ذلك لسابق عملي في خلقي ونافذ قضائي فيهم، من قبل أن أخلقهم وأصوَّر أجسامهم))[[16]](#footnote-16).

**تفسير إجمالي لهذه الآية:**

بينت هذه الآيات الكريمة إحاطة علمه تعالى بما يفعله أولئك المشركون، وأن علةَ ما هم عليه من صدود: هو ما تنطوي عليه نفوسهم من مكابرةٍ وجحود وان هؤلاء المشركون يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم حين يجيئهم بالخير من عند ربهم لقد كاد قلبه ينفطر حزنا عليهم وحسرةً على بعدهم عن الحق فتجيء الآيات بتسليته صلى الله عليه وسلم وتعزيزه وبيان أنهم لا يكذبونه بل يعلمون صدقه وأمانته، ولكنه الجحود بآيات الله ولاستكبار عن الحق، وهذه سنه الله عز وجل في الدعوات أن تواجه بالتكذيب والصدود، فيثبت الله أنبيائه ويلهمهم الصبر واليقين، حتى ينالوا النصر والتمكين.

**الهديات المستنبطة من الآية:**

جرت سنة الله عز وجل في الدعوات أن تواجه بالتكذيب والصدود، ويثبت الله قلوب أنبيائه وأوليائه ويلهمهم الصبر واليقين حتى ينالوا النصر والتمكين

الدعوة إلى التحلي بالصبر والثبات في مواجهة أعداء الدعوة لأن الصبر هو سلاح موجهة الأعداء.

**المطلب الثاني:** أعظم الظلم الجحود لنعم الله

{وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلى ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَواءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (النحل /71)

وقوله {أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} يقول تعالى ذكره: أفبنعمة الله التي أنعمها على هؤلاء المشركين من الرزق الذي رزقهم في الدنيا يجحدون بإشراكهم غير الله من خلقه في، سلطانه ومُلكه؟

قال أهل التأويل.

\* عن ابن عباس، قال {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} يقول: لم يكونوا يشركون عبيدهم في أموالهم ونسائهم، فكيف يشركون عبيدي معي في سلطاني؟ فذلك قوله {أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}.

\* قال ابن عباس: هذه الآية في شأن عيسى ابن مريم، يعني بذلك نفسه، إنما عيسى عبد، فيقول الله: والله ما تشركون عبيدكم في الذي لكم فتكونوا أنتم وهم سواء، فكيف ترضَون لي بما لا ترضون لأنفسكم.

\* عن مجاهد، في قوله {بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} قال: مثل آلهة الباطل مع الله تعالى ذكره.

\* عن قتادة، قال {وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} وهذا مثل ضربه الله، فهل منكم من أحد شارك مملوكه في زوجته وفي فراشه فتعدلون بالله خلقه وعباده، فإن لم ترض لنفسك هذا، فالله أحقّ أن ينزه منه من نفسك، ولا تعدل بالله أحدا من عباده وخلقه.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة {فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ} قال: هذا الذي فضل في المال والولد، لا يشرك عبده في ماله وزوجته، يقول: قد رضيت بذلك لله ولم ترض به لنفسك، فجعلت لله شريكا في ملكه وخلقه[[17]](#footnote-17).

**تفسير إجمالي لهذه الآية:**

والله فضل الخلق في الرزق بعضهم على بعض، فجعل منكم أحرارا لهم مال وثروة، ومنكم أرقاء لهم لا يملكون شيئا من الدنيا، فكما أن سادتهم الذين فضلهم الله عليهم بالرزق لا يردون ما رزقهم الله على عبيدهم، ويرون هذا من الأمور الممتنعة، فكذلك من أشركتم بها مع الله، فإنها عبيد ليس لها من الملك مثقال ذرة، فكيف تجعلونها شركاء لله تعالى؟!

وهذا إلا من أعظم الظلم والجحود لنعم الله؟!! ولهذا قال: {أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} فلو أقروا بالنعمة ونسبوها إلى من أولاها، لما أشركوا به أحدا [[18]](#footnote-18).

**الهديات المستنبطة من الآية:**

الله فضل بعض الخلق علي بعضهم في الرزق وجعلهم متفاوتين فيه، وفق الأسباب الخاضعة لسنة الله وقد يكون الإنسان مفكراً عالمـــــًـا، ولكن موهبته في الحصول علي الرزق وتنميته محدودة، لأن له مواهب في ميادين أخرى. وقد يبدو غبيــًا جاهلاً ساذجــًا، ولكن له موهبة في الحصول على المال وتنميته، ومن الرزق الأزواج الأبناء والأحفاد، وانه لعجيب أن تنحرف الفطرة إلي هذا الحد، فيتجه الناس بالعبادة إلي ما لا يملك لهم رزقـــًا. ويجعلون له الأشباه والأمثال وأنتم لا تساوون أنفسكم مع أصنامكم التي تعبدونها من دون الله فلماذا تساوون بين الله وعباده؟

**المطلب الثالث:** **وصف القرآن الكريم من يجحد بآيات الله بالكفر وبالظّلم**

**{وَكَذلِكَ أَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ فَالَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الْكافِرُونَ \* وَما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ \* بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا الظَّالِمُونَ} (العنكبوت 47- 49)**

قوله تعالى {وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ} أي وكإنزال الكتب السابقة على رسل سبقوا كموسى وداود وعيسى عليهم السلام أنزلنا إليك أنت يا محمد الكتاب أي القرآن

وقوله تعالى: {فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ}. فهذا إخبار بغيب فكما علّم الله تعالى المؤمنين كيف يكونون مع أهل الكتاب عندما يتصلون بهم ويعيشون معهم في المدينة وغيرها أخبر أن الذين آتاهم الكتاب أي التوراة والإنجيل وهم الراسخون في العلم يؤمنون أي بالقرآن وقد آمن عبد الله بن سلام وكثير من أحبار أهل الكتاب، وآمن من المشركين كثيرون فكان الأمر كما أخبر.

وقوله تعالى: {وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ} فهو كما أخبر لا يجحد بالآيات القرآنية ويكذب بها إلا كافر مظلم النفس خبيثها.

وقوله تعالى: {وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ} هو كما قال عز وجل لم يكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ قبل القرآن أي كتاب، ولا كان يخط بيمينه أيّ كتاب لأنه أميّ لا يقرأ ولا يكتب أيْ فلو كان قبل نزول القرآن عليه يقرأ ويكتب لكان للمبطلين مجال للشك في صحة دعوى النبوة المحمدية ونزول القرآن عليه، ولكن لم يكن قبل القرآن يقرأ أي كتاب، ولم يكن يخط بيمينه أي خط ولا كتاب فلم يبق إذاً للمشركين ما يحتجون به أبداً.

**قال مجاهد: "كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يخط ولا يقرأ فنزلت هذه الآية.** وقوله تعالى: {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ} أي بل الرسول ونعوته وصفاته ومنها وصف الأمية آيات في التوراة والإنجيل محفوظة في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب..

وقوله تعالى: {وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا} في التوراة والإنجيل والقرآن {إِلَّا الظَّالِمُونَ} أنفسهم من الماديين اليهود والنصارى الذين يأكلون ويَترأسُون على حساب الحق والعياذ بالله تعالى[[19]](#footnote-19).

**تفسير إجمالي لهذه الآيات:**

فكما أنزلنا الكتاب على من قبلك يا محمد أنزلناه عليك والذين أعطيناهم الكتاب كعبد الله بن سلام وأمثاله من اليهود والنصارى ممن أسلموا يؤمنون بالقرآن، كما يؤمن به من أهل مكة من المؤمنين، وما يكذب بآياتنا وينكرها بعد قيام الدليل على صحتها إلا المصرون علي الكفر والعناد.

**وإنما يكون الجحود بعد المعرفة**: وهم يعرفون أنك ما كنت تتلويا محمد قبل هذا من كتاب، فقد عشت بينهم وما علموا أنك تقرأ أو تكتب قبل نزول القرآن، عرفوك أمياً، ولو عرفوا أنك تقرأ وتكتب لكان معهم دليل وشك في القرآن، ولقالوا لعله التقطه من كتب السابقين ونسبه إلي الله.

**العبرة من هذه الآيات:**

إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان قبل نزول القران لا يقرأ ولا يكتب وعاش بين قومه أربعين سنة على ذلك، وقد شهد له بذلك الكتب المتقدمة، وأميته صلى الله عليه وسلم دليل واضح وقاطع على أن القرآن كلام الله سبحانه، لأنه آيات واضحات محكمات، وليس بشعر، ولا سحر، ولا ينكره إلا المبطلون الجاهلون، والكفار الظالمون، حفظه الله من التغير والتبديل.

**المطلب الرابع: وصف القرآن الكريم من يجحد بآيات الله بأهل الإفك والختر**

**المقصد الأول: من يجحد بآيات الله من أهل الختر**

**{أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ إِنَّ فِي ذلِكَ لَآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ \* وَإِذا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ}** (لقمان 31/ 32)

وقوله تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ } أي إذا غشي المشركين موج وهم على ظهر السفينة فخافوا {دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} أي دعوا الله وحده ولم يذكروا آلهتهم. فلما نجاهم بفضله {إِلَى الْبَرِّ} فلم يغرقوا {فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ } أي في إيمانه وكفره لا يُغالي في كفره ولا يعلن عن إيمانه.

وقوله {وَمَا يَجْحَدُ بِآياتِنَا} القرآنية والكونية وهي مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته ورحمته الموجبة لألوهيته {إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ } أي غدار بالعهود

{كَفُورٍ} للنعم لا خير فيه البتّة والعياذ بالله تعالى من أهل الغدر والكفر[[20]](#footnote-20).

**المقتصد قولان:**

\*قال مجاهد: أي كافر. كأنه فسر المقتصد هاهنا بالجاحد، كما قال تعالى: {فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون} (العنكبوت: 65).

\*وقال ابن زيد: هو المتوسط في العمل.

وهذا الذي قاله ابن زيد هو المراد في قوله: {فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات} (فاطر: 32)

فالمقتصد هاهنا هو: المتوسط في العمل. ويحتمل أن يكون مرادا هنا أيضا، ويكون من باب الإنكار على من شاهد تلك الأهوال والأمور العظام والآيات الباهرات في البحر، ثم بعدما

أنعم عليه من الخلاص، كان ينبغي أن يقابل ذلك بالعمل التام، والدؤوب في العبادة، والمبادرة إلى الخيرات. فمن اقتصد بعد ذلك كان مقصرا والحالة هذه، والله أعلم.[[21]](#footnote-21)

**تفسير إجمالي لهذه الآيات:**

تذكر الآيات بنعم الله الأخرى على الناس، فقد أنعم الله على الناس بالدواب على الأرض، تحمل أثقالهم.

وأنعم عليهم في البحر بالسفن، تطفو على الماء فلا تغرق. وتجري في البحر بأمان فلا تقف، تنقل ذواتهم وتجارتهم فتربط بين أجزاء الأرض، فيتعارف الناس ويتبادلون المصالح.

كل ذلك بنعمة الله وفضله، فإذا ما أرادهم الله بعض آياته المنذرة حين تهيج البحار وتعلوهم الأمواج، ويستشعرون ضعفهم وقله حيلتهم، فيتذكرون ربهم ويدعونه بإخلاص أن ينجيهم مما يرونه وينتظرونه من هلاك، فإذا استجاب دعوتهم ورحم ضعفهم وأنجاهم من شدتهم فوصلوا إلى بر الأمان، ووطئت أقدامهم الأرض نسوا ما كانوا فيه، وما عاهدوا الله عليه، فمنهم مقصر لم يقم بحق الشكر لنعم الله عليه حين هدتاه وأنجاه.

وآخرون كانوا أكثر غدراً وفجراً وكفراً، فغدر بعهده، ونكث وعده فكفر بنعمة ربه عليه، فنسيها وجحد شكرها. وهذه أخلاق كل كفّار بالنعم، غدراً بالوعد لا يشكر نعمته، ولا يفي بعهده ووعده.

فسبحان الرحيم الحليم الذي يذكر آياته، ويذكر بها عباده ليعرفوا نعمه عليهم وإحسانه إليهم فيشكروه ويعبدوه

**الهديات المستنبطة من الآيات:**

أن عبادة غير الله ودعوته هي الباطل الذي لا حق معه.

الصبر على الطاعة، والصبر على المعصية، والشكر على النعمة، أوصاف متكاملة.

دلاله الآيات الكونية على أن الله هو الإله الحق، العلي على خلقه الكبير في ملكه فيكون هو المستحق وحده للعبادة والطاعة.

بيان أن المشركين أيام نزول القرآن كانوا يوحدون في الشدة ويشركون في الرخاء.

شر الناس الختّار أي الغدار الكفور.

ذم الختر وهو أسوأ الغدر وذم الكفر بالنعم الإلهية.

**المقصد الثاني: من يجحد بآيات الله من أهل الإفك**

**{** **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهارَ مُبْصِراً إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ \*ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ \* كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ\*** **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ \* هُوَ الْحَيُّ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ } (غافر61/ 65)**

قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَشْكُرُونَ} إشارة إلى موقف كثير من الناس من فضل الله ونعمه عليهم، حيث يلقونها بالجحود والكفران، فلا يشكرون لله، بل ولا يؤمنون به..

قوله تعالى:

{ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}.

في الإشارة إلى الله سبحانه وتعالى، إلفات لهؤلاء الغافلين عنه، المشركين به، العاكفين على عبادة ما يعبدون من أوثان وغير أوثان، مما صنعت أيديهم، أو تصورت أوهامهم.. فالله سبحانه هو خالق كل شيء، وما يعبده هؤلاء المشركون من معبودات، هي مخلوقات لله، والمنطق يقضى بداهة بألّا تكون عبادة إلا للخالق وحده سبحانه وتعالى، وأن عبادة غيره سبحانه، ضلال مبين.

وقوله تعالى: {فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} - استفهام إنكاري، ينكر على هؤلاء المشركين أن يولوا وجوههم إلى غير الله الواحد، الخالق لكل شيء.. والإفك: العدول عن الحق إلى الباطل، وعن الهدى إلى الضلال.

قوله تعالى:{كَذلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كانُوا بِآياتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}.

أي بمثل هذا الإفك، والافتراء على الله سبحانه بنسبة الشركاء إليه، يأفك ويفترى كل من يجحد بآيات الله، ولا يعرف ما فيها من دلائل الكمال والجلال لذات الله سبحانه وتعالى.. إن آفة الضالين والمشركين، هي جهلهم بآيات الله، وعدم وقوفهم عليها، الأمر الذي ينتهى بهم إلى إنكارها، ثم إلى إنكار الله..

قوله تعالى:

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ.. ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}..وهذه آية من آيات الله.. فهل لأهل الضلال والإفك أن ينظروا فيها، وأن يخرجوا من هذا الظلام الذي هم فيه، وأن يصافحوا بأبصارهم هذا النور المشّع من آيات الله، ليروا على ضوئه الحق الذي ضلوا عن طريقه..

وكأنّ سائلا سأل: وما الله الذي بآياته يجحدون؟

فكان الجواب:

{اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ.. ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ} الذي أقامكم على هذه الأرض، وجعلها لكم مستقرا ومقاما، وجعل فوقكم السماء سقفا محفوظا، تمسكه قدرته.. فإذا نظرتم في أنفسكم رأيتم كيف أخرجكم الله في تلك الصورة الكريمة من الخلق، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة..

ثم ساق لكم من الرزق ما يقيم حياتكم، ويحفظ وجودكم.. {ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ} إن كنتم تريدون التعرف إليه، والإيمان به.. {فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ}..

أي علا، وعظم. ربكم هذا، إنه رب العالمين..[[22]](#footnote-22)

**تفسير إجمالي لهذه الآيات:**

إن الحاكم الوحيد في الكون هو الله عز وجل الذي لا إله إلا هو فإلى أي جهة تتجهون بعبادتكم وما هو الدافع الذي يصرفكم عن عبادة الله وكيف ستواجهونه يوم القامة؟

ولا ينصرف عن عبادة الله وتوحيده إلا المعاندون الجاحدون المتنكرون لطبيعتهم وفطرتهم وإلا فكيف ينكر وجود الله أو وحدانيته أو ألوهيته ؟ وجميع الدلائل العقلية والطبيعية والحسية تؤيد أنه لا إله إلا هو.

ثم تساق حجة أخرى على أنه لا إله إلا هو وهي: (اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَراراً وَالسَّماءَ بِناءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّباتِ.. ذلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ).. هذا النظام الكوني الجميل الذي جعله الله بأبهى صورة ليلائم أجمل صورة خلق فيها الإنسان سيد الأرض وخليفه الله فيها، فالأرض مستقراً ومقاماً ومعاشاً نشاطاً،

بدورانها حول نفسها ودورانها حول الشمس مما يسهل العيش فيها ويجعل الماء(البحار) في مكانه واليابسة في مكانها ولو تغير أي من هذه الأنظمة لاستحالت الحياة على الأرض![[23]](#footnote-23).

**الهديات المستنبطة من الآيات:**

تشير الآيات إلي أن الله تفضل على الإنسان بأن جعل السنن الكونية على هذا النحو من النهار وما يعمل به والليل وما يستفاد منه فهي جميعاً فضل من الله تعالى، حتى خلق الجبال والأنهار والشمس والقمر وغيرها.

لقد ربط الله تعالى الرزق بالسنن الكونية من ناحية التفصيل فإنه تعالى بعد أن ذكر الليل والنهار والأرض والسماء وتفضيله جل وعلا على الإنسان بأن جعلها على هذه الكيفية ذكر أنه رزق الإنسان الطيبات.

وهذه جميعاً تحتم على المسلم ولإنسان ألا يعبد سوى الله وان يوحده في ذاته وصفاته وأفعاله

**المطلب الخامس:** **الجحود سمة الكافرين السابقين**

**المقصد الأول:** **أن يعتبروا الطغاة والكافرين من عاد لأنهم اتبعوا أمر كل جبار عنيد**

**{وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ \*  
وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ}** **(هود 59/ 60)**

قوله تعالى:{وَتِلْكَ عادٌ جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ}.

في الإشارة إلى جمع العقلاء بتلك، إشارة إلى أنهم ليسوا جمعا، وليسوا عقلاء.. ذلك أنهم قد صاروا ترابا في التراب، لم يبق من آثارهم إلا تلك الأطلال المتداعية، التي يمرّ عليها أهل مكة في تجارتهم إلى الشام.. فلا يجدون إلا خرابا مخيفا، يحدّث عن انقلاب حلّ في هذه المواطن، فمسخ طبيعة كل شيء فيها.. أرضها، وسمائها وجوها.. فلا تنبت الأرض شيئا، حتى الشوك، ولا تحمل السماء شيئا.. حتى السحاب الجهام، ولا يتحرك بين أرضها وسمائها ريح.. حتى السّموم!

فتلك هي ديار القوم، وهذا هو حصيد ما زرعوا.. فلينظر المشركون من أهل مكة ماذا حلّ بديار الظالمين، ولينتظروا ماذا يحلّ بهم هم، إن ظلوا على ما هم عليه من كفر وعناد.

وفى قوله تعالى: {جَحَدُوا بِآياتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ} إجابة عن سؤال هو: ماذا كان من أهل تلك الديار حتى حلّ بهم هذا المسخ؟ فكان الجواب: {جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كلّ جبّار عنيد}! والجبار العنيد هو كل رأس من رءوس الكفرة والمشركين، الذين يتولّون كبر الحرب التي يعلنها أعداء الله، على رسل الله.

وفى قوله تعالى: {وَعَصَوْا رُسُلَهُ} ما يسأل عنه؟

كيف جاء النظم القرآني، محدّثا عن أنهم عصوا رسل الله، مع أنهم لم يعصوا إلا رسولهم {هودا} الذي أرسل إليهم؟

والجواب: أن رسل الله على طريق واحد، يقومون على أداء رسالة واحدة.. هي الدعوة إلى الله سبحانه، والإيمان به، وبكتبه، ورسله، واليوم الآخر..

فهم- من جهة- بمنزلة رسول واحد، يتجدد مع الزمن في صورة من ظهر منهم من الرسل.. وهم- من جهة أخرى- رسل كثيرون يجيء بعضهم إثر بعض في صورة رسول.. إذ لا يختلف أحد منهم عن صاحبه في مفهوم الرسول، وفى مضمون رسالته ومحتواها..

فهم رسل في رسول، وهم رسول في رسل! قوله تعالى: {وَأُتْبِعُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ}.

أي أن هؤلاء القوم لم يتركوا وراءهم في هذه الدنيا خيرا يذكرون به،

ولم يخلّفوا أثرا طيبا ينتفع به الناس بعدهم.. وإنما الذي تركوه هو ما يشهد عليهم بالبغي والضلال، والفساد في الأرض.. فكل من يمر بديارهم، أو يستمع إلى أخبارهم، لا يجد منهم إلا ريحا خبيثة، تجعله ينفر منها، ويلعن الجهة التي صدرت عنها.. «وأتبعوا فى هذه الدنيا لعنة» أي تبعتهم اللعنات بعد أن تركوا هذه الدنيا، وذلك هو بعض ما غرسوا فيها من شر، إذ لم تكن لهم صالحة فيما غرسوا..

وكذلك شأنهم في الآخرة.. فإن أهل الإيمان، إذ يرون ما ساق إليهم إيمانهم من نعيم ورضوان، يجدون لذة إلى لذة في أن يذكروا أهل الكفر، وما ركبوا في دنياهم من ضلال، وأن يرموهم باللعنة إذ فوّتوا على أنفسهم هذا المقام الكريم، وباعوها في الدنيا بثمن بخس رذل! وفى هذا يقول الله تعالى:

«وَنادى أَصْحابُ الْجَنَّةِ أَصْحابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنا ما وَعَدَنا رَبُّنا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ ما وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟ قالُوا نَعَمْ.. فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ» (44: الأعراف) - وفى قوله تعالى: «أَلا إِنَّ عاداً كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ..»

تشهير بالقوم، وإذاعة لجريمتهم في الناس، واستدعاء لكل ذي سمع ونظر، أن يشهد هؤلاء القوم، وينظر إليهم وهم متلبسون بهذا الجرم الغليظ، فلا يقول فيهم إلا ما يسوءهم ويخزيهم.[[24]](#footnote-24)

**تفسير إجمالي لهذه الآيات:**

لقد هلكت عاد لأنهم اتبعوا أمر كل جبار عنيد، هلكوا مشيعين باللعنة في الدنيا وفي الآخرة [[25]](#footnote-25)

كونهم يستأهلون هذا الهلاك بسبب طغيانهم واستكبارهم ولذلك جاء تفظيع حلهم للاعتبار بقصتهم مع نبيهم هود عليه السلام، ولعل وصفهم بقوم هود في قوله تعالى **{أَلا بُعْداً لِعادٍ قَوْمِ هُودٍ} لتميزهم عن عاد الثانية، إذ قوم هود عاد الأولى التي ذكرها القران الكريم في قوله {**وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى} (النجم 50)

فهذه قصة هود عليه السلام مع قومه عاد الذين كفروا ربهم فاستحقوا البعد عن رحمة الله تعالى، فحري بالطغاة والكافرين أن يعتبروا من قصة عاد ويرعووا عن غيهم وكفرهم بربهم قبل أن يأتيهم عذاب يوم عظيم.

**الهديات المستنبطة من الآيات:**

الجاحدون لآيات الله تعالى، والعاصون لأوامره إن أمهلهم في الحياة الدنيا فإن عاقبته وخيمة

الجاحد لآيات الله تعالى، المكذب لرسل الله عاقبته وخيمة (جسيمة)

**المقصد الثاني: جحدوا الآيات وكفروا بالله سبحانه وهذه نهاية الظالمين**

{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ \* فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ \* وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ }( **النمل7/ 14)**

ما زال السياق الكريم مع موسى في حضرة ربه عز وجل بجانب الطور إنه لما أمره بإلقاء العصا فألقاها فاهتزت وفزع موسى لذلك فولى مدبراً ولم يعقب خائفاً فطمأنه ربه تعالى بأنه لا يخاف لديه المرسلون أمره أن يدخل يده في جيبه فقال {وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ} أي في جيب القميص {تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ} أي من غير برص بل هوبياض إشراق يكاد يذهب بالأبصار {فِي تِسْعِ آيَاتٍ} أي ضمن تسع آيات مرسلاً بها إلى فرعون وقومه، وبين تعالى علة ذلك الإرسال فقال: {إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ} أي خارجين عن الاعتدال إلى الغلو والإسراف في الشر والفساد وقوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا} يحملها موسى مبصرة مضيئة واضحة دالة على صدق موسى في دعوته، رفضوها فلم يؤمنوا بها، و {قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ}، أي الذي جاء به موسى من الآيات هو سحر بين لا شك فيه قال تعالى {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ} أي جحدوا بالآيات وكذبوا وتيقنتها أنفسهم أنها آيات من عند الله دالة على رسالة موسى وصدق دعوته في المطالبة ببني إسرائيل وقوله ظلماً وعلوا أي حملهم على التكذيب والإنكار مع العلم هو ظلمهم واستكبارهم فإنهم ظالمون مستكبرون. وقوله تعالى: {فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} أي انظر يا رسولنا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كيف كان عاقبة المفسدين وهي إهلاكهم ودمارهم أجمعين**.**[[26]](#footnote-26)

**تفسير إجمالي لهذه الآيات:**

إن الآيات (المعجزات) ذكرت مجملة في هذه الآية ولكن بعد مجيء الآيات على صدق سيدنا موسى في دعواه كذبوا فانظر يا محمد صلى الله عليه وسلم كيف كان عاقبة المكذبين.

ثم تجمل الآيات مجيء سيدنا موسى وتلبية هذا النداء إلى فرعون وقومه والتي جاءت مفصلة في سور أخرى منها سورة الشعراء.

فلما جاءتهم هذه الآيات الكثيرة العدد، القوية في الحجة ومع هذا قالوا عنها: هذا سحر مبين، قالوا ذلك لا عن اقتناع به، ولا عن شبهة فيه، إنما قالوا ظلماً وعلواً مع أن قلوبهم متيقنة أنه الحق الذي لا شبهة فيه.[[27]](#footnote-27)

وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القرآن ويوقنون أنه الحق الذي لا مرية فيه، ولكنهم يجحدون، وذلك لأنهم يريدون الإبقاء على ديانتهم وعقائدهم، لما وراءها من أوضاع تسندهم ومغانم تتوافد عليهم، وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة، التي يحسون خطر الدعوة الإسلامية عليها، ويحسونها تتزلزل أقدامهم، وترتج في ضمائرهم، ومطارق الحق المبين تدمغ الباطل الواهي المريب.

فانظر كيف كان عاقبة المفسدين، وعاقبة فرعون وقومه معروفه، كشف القرآن في مواضع أخرى، وإنما يشير إليها هذه الإشارة لعلها توقظ الغافلين من الجاحدين بالحق المكابرين فيه، إلى عاقبة فرعون وقومه قبل أن يأخذهم ما أخذ المفسدين.

ولنذكر هنا هلاك فرعون وقومه والتي ذكرها الله تعالى في سورة يونس قوله {وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90) آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ }(92)

وفي سورة الشعراء: {فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ} (62)

فقد أغرق الله فرعون وقومه لأنهم جحدوا الآيات وكفروا بالله سبحانه وهذه نهاية الظالمين

**الهديات المستنبطة من الآيات:**

الدليل على اصطفاء الله لموسى عليه السلام.

الإعداد الرباني العملي لمواجهة الطاغية فرعون وقومه.

إظهار قدرة الله جلية أمام موسى عليه السلام ليأنس بها ويكون ثابت الجنان في دعوته لفرعون.

وفيه أن قدرة الله يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته وهذه سنه الله فيهم

**المقصد الثالث: الجحود من عوامل الاستكبار والغرور**

**{فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ \*إِذْ جاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قالُوا لَوْ شاءَ رَبُّنا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ \*فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ \*فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذابَ الْخِزْيِ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَلَعَذابُ الْآخِرَةِ أَخْزى وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ \*وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى فَأَخَذَتْهُمْ صاعِقَةُ الْعَذابِ الْهُونِ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ }**( **فصلت: 13/ 17)**

**تفسير إجمالي لهذه الآيات:**

وبعد أن ساق القرآن الكريم هذه الأدلة على وحدانية الله وقدرته ولفت نظرهم إلى السنن التي لا يستطيعون مخالفتها ولا تغيرها وبين لهم قدرة الله تعالى في خلق هذه الأشياء العظيمة (الأرض وما فيها والسماء ووظيفتها)، لم يبق من الإعراض والصدود عن الإيمان إلا المغالطة والعناد.

إذ لم تكن لهم حجة في الصدود عن الإيمان. بقي أسلوب آخر وهو التهديد والوعيد ويعلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يتوعد إلا نفذ توعده ولا يكذب فيما يبلغ عن ربه، وليقينهم بذالك حينما قال: {**أَنْذَرْتُكُمْ صاعِقَةً مِثْلَ صاعِقَةِ عادٍ وَثَمُودَ}.. وضع عتبه بن ربيعة يده على فم الرسول صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ألا ينفذ تهديده وقال لقومه (تعلمون أن محمداً لا يكذب ولا يخلف).**

**وقالوا إن الإنذار يراد به التخويف والصاعقة العذاب وهي معروفة لدى العرب نار يصحبها صوت** شديد تحرق ما تقع عليه، ولا قدرة لهم على ردها، ولا مانع من أن يراد بها الحقيقة والذي جعل المفسرين يقولون أنه مطلق العذاب لأنهما لم يعذبا بعذاب واحد فإن عذاب عاد غير عذاب ثمود

ولذا قالوا بأن الصاعقة مطلق العذاب، وأن قريشاً لم تصبها الصاعقة ولا العذاب لأنهم أسلموا بعد ذلك فلم يعذبوا كافة كما عذبت الأمم الأخرى.

ثم تأتي عله الإنذار والتهديد: {**فَأَمَّا عادٌ فَاسْتَكْبَرُوا}.. إذ منعهم التكبر من الإيمان كما تكبرت طغاة قريش، فإن عاداً أعجبتهم أجسامهم وقوتهم فقالوا {مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً}** ونسوا أنهم مخلوقين وأن الذي خلقهم اشد منهم قوة.

وهكذا يدفع التكبر أصحابه للإعراض والصد حتى عما ينفعهم ولا يريدون أن يقتنعوا بالحق فلا يسمعوه ولا يعرضوه على المنطق ولا يجادلون مناقشته مناقشة علمية.

وقوله عز من قائل { **فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ** }.. مع أن التكبر لا يكون بحق أبداً، أشار تعالى أن تكبرهم لا مبرر له لأن قوة الأجسام مدعاة للكبر إلا للجهالة، لأن العاقل يعلم أن الإنسان مهما عظمت قوته فسوف يؤول إلى ضعف ثم إلى موت ولكن نقص عقولهم دعاهم للتكبر.

إذن.. فإن الله تعالى الذي خلقهم هو أشد قوة لأن الذي يوجدهم قادر على أن يعدمهم أي يعيدهم إلى ما كانوا عليه. ولكنهم تنكروا لجميع الدلائل والحجج إن كانت في المنطق

الإنساني أو إن كانت بالسنن الكونية التي يشاهدونها.

ثم يبين الله لمشركي مكة {**فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِساتٍ}.. فهذه نتيجة الإصرار على الكفر والجحود وعدم الرضوخ وعدم الاقتناع بالحجج والبراهين التي تدل على صحة المنهج ووجوب إتباعه ولا يمكن أن تصلح الإنسانية إلا بالمنهج المتلائم والمتوائم** مع حركة الكون، فجزاء المعاندين ريحاً باردة جداً تحرقهم كما تحرق النار وقال المفسرون: (**صَرْصَراً) هو استبدال لصرر وهو البرد الشديد فهذه الرياح القوية جداً والتي تسمى الآن الأعاصير تقتلعهم من جذورهم، فهو جزاءً وفاقاً لقولهم من أشد منا قوة؟ وتحمل هذه الريح البرد الشديد وكانت شؤماً عليهم وعلى حياتهم وبلدهم الذي تحصنوا به واعتمدوا على قوتهم فيه.**

**فجاءت هذه الريح بالذل والهوان والعذاب ففي الدنيا ذاقوا عذاباً يصاحبه ذل وهذا أيضاً موافق لتكبرهم وجبروتهم واستهزائهم بالرسل وما جاءوا به وسخريتهم بالطريق والمنهج الذي أنزله الله سبحانه لهم مع الرسل ليحفظ كرامتهم ويحقق سعادتكم**[[28]](#footnote-28).

**الهديات المستنبطة من الآيات:**

إن الذين يصرون، على الكفر مهما وضح لهم الطريق لا يرونه أو لا يرون صلاحه ولا هدايته، وقد بين الله لهم طريق الحق على يد الرسل فأحبوا العمى على الهدى.

أن المشركين يحتجون بأي حجة على شركهم وتمسكهم بكفرهم وحقيقتهم أنهم لو حقق الله شرطهم للإيمان فلا يؤمنون أبداً، لأن الإيمان تستقبله نفوس مطمئنه وعقول فاصحة ذكية تهتدي إلى الحق.

**المقصد الرابع: الجاحد بآيات الله لن يغني عنه سمعه، ولا بصره، ولا فؤاده، وحرم نفسه من نعمة الله الّتي أنعم الله بها عليه**

**{ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيما إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصاراً وَأَفْئِدَةً فَما أَغْنى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كانُوا يَجْحَدُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَحاقَ بِهِمْ ما كانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُنَ} (الأحقاف/ 26)**

ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه: أي ولقد مكنا قوم عاد من القوة التي لم نمكنكم أنتم من مثلها.

وجعلنا لهم سمعا وأبصاراً: وجعلنا لهم أسماعاً وأبصاراً.

فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء: أي من الإغناء

إذ كانوا يجحدون بآيات الله: أي لعلة هي أنهم كانوا يجحدون بآيات الله وهي حججه البينة.

وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: أي نزل بهم العذاب الذي كانوا يستهزئون به.

معنى الآيات:

ما زال السياق في مطلب هداية قريش أنه لما قص تعالى عليهم قصة عاد وتجلت فيها عظات كثيرة وعبرة كبيرة قال لهم {وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ} أي قوم عاد مكناهم في الأرض فأعطيناهم من مظاهر القوة المادية {فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ} أنتم يا معشر كفار قريش وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة أي قلوباً فيما أغنى عنهم سمعهم أي أسماعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء من الإغناء إذ كانوا يجحدون بآيات الله أي بحججه وبيناته الدالة على وجوب توحيده وحاق أي نزل بهم العذاب الذي كانوا إذا خوفوا به وأنذروا استهزأوا وسخروا[[29]](#footnote-29)

**تفسير إجمالي لهذه الآيات:**

ولقد كانا أشد منكم قوة، وأكثر أمولاً، ومع ذلك مانجوا من عقاب الله، فكيف يكون حالكم.

وقد فتحنا عليهم أبواب النعم، وأعطيناهم سمعاً فما استعملوه في سماع الدلائل وأعطيناهم أبصاراً فما استعملوها في تأمل العبر، وأعطيناهم أفئدة فما استعملوها في طلب معرفة الله تعالى، بل صرفوا كل هذه القوى إلى طلب الدنيا ولذاتها بطرق تخالف منهج الفطرة الذي يأمر به الله، فلا جرم ما أعنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من عذاب الله شيئاً.

وفي هذه الآية أشد التخويف لأهل الكفر في مكة، فإن قوم عاد لما اغتروا بدنياهم وأعرضوا عن قبول الدليل والحجة نزل بهم عذاب الله الذي كانوا يستهزئون به، حيث كانوا يطلبون العذاب على سبيل التكذيب والاستهزاء، ولم تغن عنهم قوتهم ولا كثرتهم، فأهل مكة مع عجزهم وضعفهم أولى بأن يحذروا من عذاب الله ويخافوا[[30]](#footnote-30)

وعن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا حتى أرى منه لهواته[[31]](#footnote-31)، إنما كان يتبسم، قالت: وكان إذا رأى غيما أو ريحا عرف في وجهه[[32]](#footnote-32)، قالت: يا رسول الله إن الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيته عرف في وجهك الكراهية، فقال: " يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب؟ عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب، فقالوا: هذا عارض ممطرنا "[[33]](#footnote-33)

و عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:( نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور) **[[34]](#footnote-34)**

**الهديات المستنبطة من الآيات:**

بيان أن الإعراض عن دين الله والإصرار على الفسق عن أمر الله، والاستمرار على الخروج على طاعته إذا استوجب صاحبه العذاب ونزل به لم يغن عنه ذكاؤه ولا دهاؤه ولا علمه وحضارته ولا علوه وتطاوله. بيان أن الآيات والحجج وضرب الأمثال وسوق العبر والعظات لا تنفع في هداية العبد، إذا لم يرد الله هدايته {إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُ} ويحيق به العذاب ويهلكه جزاء تكذيبه وكفره وإعراضه وفسقه.

**المقصد الخامس: نتيجة** **الجحود هي الخلود في النّار والعذاب الشديد**

**{وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ \* فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ \*ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ**}**(** **فصلت: 26/ 28)**

قوله تعالى: {وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ}..

أي أن هؤلاء الضالين من المشركين، وقد اجتمع بعضهم إلى بعض، وتلاقوا على طريق الضلال- تشكل منهم هذا الكيد الذي أجمعوا أمرهم عليه، ليكيدوا به للنبي الكريم، وللقرآن الذي يتلوه عليهم، وهو أن يشوّشوا على النبي وهو يتلو القرآن، ويكثروا من اللفظ، واللغط، حتى لا تنفذ كلماته إلى الآذان، ولا تصل إليها إلا مختلطة مضطربة.. وقد ظنوا أنهم بهذا العبث الصبياني يسدون منافذ الضوء من تلك الشمس الساطعة إذا هم مدّوا أيديهم إليها، وحجبوها عن عيونهم..!

قوله تعالى:{فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ}..

هو تهديد، ووعيد لهؤلاء الذين يكبدون لآيات الله، ويلقونها هازئين ساخرين.. وفى إقامة الظاهر مقام المضمر في قوله تعالى «الَّذِينَ كَفَرُوا» بدلا من قوله تعالى: {فَلَنُذِيقَنَّ} إشارة إلى سوقهم مع جريمتهم، وهى الكفر، إلى جهنم، وفى هذا مضاعفة لآلامهم، حيث يرون وجه جريمتهم يصحبهم في كل مكان.. إنهم أشبه بالقاتل الذي يحمل جثة قتيله وهو مسوق إلى ساحة الإعدام.

وقوله تعالى: {وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كانُوا يَعْمَلُونَ} - إشارة إلى أن أعمالهم سيئة كلها، وأنها درجات متفاوتة في السوء، وأن الكبائر منها تجمع الصغائر في كيانها، وأن الكفر وهو رأس الخطايا كلها هو الذي يدانون به، ويلقون أشد العذاب عليه، فإنه ليس بعد الكفر ذنب، ولا وراء عذاب الكافر عذاب.. ولهذا سيقوا إلى جهنم بجريمة الكفر، {فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذاباً شَدِيداً} !.

قوله تعالى:

{ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ}.

والكافرون هم أعداء الله، بل هم أعدى أعدائه، وليس لهم جزاء عند الله إلا النار، حيث تكون دار خلود لهم، لا يخرجون منها..

إذ كانوا يجحدون بآيات الله، ويكذبون رسله، ويكفرون بربهم.[[35]](#footnote-35)

**تفسير إجمالي لهذه الآيات:**

جاء في الصحيح حينما أجار أبو البختري أبا بكر الصديق فأخذ يقرأ القرآن أخذ يؤثر في الناس فيؤمنون لقراءته فشكوه لأبي البختري وقالوا إنك أجرته ولم تجره أن يقرأ القرآن ( فإننا نخاف أن يفتن أبناءنا ونساءنا ).. والحقيقة أنه يهدي سادتكم وعقلاءهم لقوته الذاتيه وتأثيره في النفوس.

وقال الذين كفروا فكان دليل كفرهم قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن ونقلت التقارير بأسانيدهم أن أبا جهل والمشركين كانوا إذا قرئ يملؤون المكان ضجيجاً وصياحاً وصفيراً يحمون أنفسهم من القرآن ويحمون أتباعهم منه واللغو هو الكلام الذي لا فائدة فيه ولا معنى له فكانوا يوصي بعضهم بعضاً أن لا يسمعوا للقران الكريم حتى أن أحد وجهاء العرب قيل له لا تسمع لمحمد فإنه يتكلم كلاماً يسحرك فيه فقال لهم والله ما أنا بالذي يتهم عقله سأسمع إليه فإن قال صواباً صوبته وإن قال خطأ رددته عليه فلما سمع القرآن الكريم أسلم.

وقوله لنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً المقصود أن نواصل العذاب إلى أدق مشاعرهم حتى يعلموا حقيقته، وهذا هوا الجزاء المناسب جزاؤهم بأسوأ أعمالهم فإنه ليس أسوأ من هذا الظلم وهذا الجحود والوقوف بوجه الدعوة التي أراد الله إنقاذ الإنسان بها فالمشركون لا يؤمنون بهذا الخير ولا يدعوه يعم الناس، فكان جزاؤهم هو ما يناسب أعداء الله {ذلِكَ جَزاءُ أَعْداءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيها دارُ الْخُلْدِ جَزاءً بِما كانُوا بِآياتِنا يَجْحَدُونَ}. فقد وقفوا سداً منيعاً ضد الدعوة كي لا تصل إلى الآخرين، فتشويشهم على الناس في سماع القرآن ومنع وصوله إلى العقلاء فهذا إظهار للعداوة وأوليائه وجزاؤهم لما فيها من حقائق ثابتة وأدلة دامغة واضحة.

**الهدايات المستنبطة من الآيات:**

أن كفار مكة وعتاتها لا يستحون من عدم سماعهم القرآن لئلا يهديهم إلى طريق المستقيم فدافعوا عن ضلالهم وهم يعلمون أنه ضلال وقد منعهم من الهدى تكبرهم وعنادهم وعصبيتهم مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم تبرأ من التعصب العرقي وحتى القومي، فيكون جزاؤهم الأوفى هو العذاب والنار التي أعدها الله لمن عصاه.

أهم التوصيات:

1. أوصي طلبة العلم أن يتم تناول موضوع هذه الدراسة في دراسة علمية، ماجستير أو دكتوراه، حتى يمكن الإحاطة بآفاق الموضوع بصورة أعمق وأشمل.
2. أن يهتم الباحثون بالموضوعات التي انفردت بها بعض السور، وجعلها في أبحاث مستقلة
3. إصدار نشرات تبين للناس الجحود وأنواعه وطرق العلاج له وتوزيعها بأكبر قدر ممكن من خلال الجهات المختصة.
4. أوصي الباحثين في التفسير الموضوعي بتوسيع دائرة بحثهم، في موضوعات القرآن الكريم واستنباط أسرار القرآن وهدايات القرآن التي لا تنتهي.
5. العمل على عقد ندوات وورش عمل حول موضوع الجحود وطرق العلاج.

الخاتمة

وهكذا يتضح من الآيات القرآنية الكريمة التي سَبَق سردُها، وممَّا استنبط منها من فوائد تدلُّ عليها تلك الآياتُ الكريمة بكلِّ وضوح: أنَّ الجحود بالله ورسله وأنبيائه وكتبه والغيب ونعم الله الذي أخبر عنه سبحانه أو بشيء من ذلك هو شرُّ الأعمال وأقبحها؛ لأنَّه إنكار لمعلوم، وتكذيب بما قامت الدلائلُ والبراهين على صِدقه، لو أعمل الجاحد عقلَه وتفكَّر فيما حوله من مخلوقات الله وآياته الكبرى، ممَّا يحويه هذا الكونُ الفسيح العظيم الخَلق الدَّال على عِظم خالقه، وكونه وحدَه المستحقَّ للعبادة، لكن الجاحد معطِّلٌ لعقله، مُقلِّد لغيره لا يستعمل سمعَه وبصره فيما ينبغي أن يستعملهما فيه، فكأنَّه والحال هذه أعمى وأصم، كما أنَّه لا يستعمل لسانه فيما ينبغي أن يستعمله فيه مِن ذِكْر الله المنعم، وشكره.

كما يتضح أيضًا أنَّ جزاء الجحود الذي هو أعظم الذنوب النَّارُ العظيمة الهائلة التي أعدَّها الله لمن تلبَّس بهذا الذَّنب العظيم الذي ليس بعده ذنبٌ فمات عليه، ولم يتب منه قبلَ موته، وهي نارٌ مخيفة، فيها من أنواع النَّكال والعذاب ما لا تُحيط به العقول مما ورد ذِكْر بعضِه في آيات القرآن الكريم، وأحاديث رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم.

والله وحده المستعان، وهو ولي التوفيق، وصلَّى الله على خير خَلقه عبده ورسوله نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه.

**فهرس المصادر والمراجع**

* المقاييس اللغة. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)

المحقق: عبد السلام محمد هارون.

* الصحاح أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الطبعة: الرابعة 1407 هـ‍ - 1987 م.

المفردات في غريب القران. المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) الطبعة: الأولى المحقق: صفوان عدنان الداودي.

* لسان العرب محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ).

التاج. العلامة [المرتضى الزبيدي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%AA%D8%B6%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%A8%D9%8A%D8%AF%D9%8A)

التعريفات.علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ).

* التوقيف على مهمات التعاريف المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ).
* والكليات للكفوي. أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي

(المتوفى: 1094هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري.

* مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م.
* أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكرا لجزائري ط الخامسة.
* أسباب نزول القرآن أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي

(المتوفى: 468هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992 م.

* جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.
* تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي

(المتوفى: 1376هـ)المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق.

* تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)المحقق: محمد حسين شمس الدين الطبعة: الأولى - 1419 هـ
* التفسير القرآني للقران المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ).

التفسير الموضوعي لسور القران الكريم جامعة الشارقة أ.د مصطفي مسلم ( ج 6/ص584)

* ظلال القران (ج4/ص1901) لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ) الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ
* مفاتيح الغيب = التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) الطبعة: الثالثة - 1420 هـ.

**والحمد لله رب العالمين**

**وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، وسلم تسليما كثيراً**

1. المقاييس اللغة (1/ 425 /426( .أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)

   المحقق: عبد السلام محمد هارون [↑](#footnote-ref-1)
2. الصحاح (2/ 452).أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الطبعة: الرابعة 1407 هـ‍ - 1987 م [↑](#footnote-ref-2)
3. المفردات في غريب القران(ج1/ص 187).المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: 502هـ) الطبعة: الأولىالمحقق: صفوان عدنان الداودي [↑](#footnote-ref-3)
4. لسان العرب (3/ 106) محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ) [↑](#footnote-ref-4)
5. التاج (4/ 376، 377). العلامة [المرتضى الزبيدي](http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%AA%D8%B6%D9%89_%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%A8%D9%8A%D8%AF%D9%8A) [↑](#footnote-ref-5)
6. التعريفات (77(.علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) [↑](#footnote-ref-6)
7. المفردات في غريب القران (ج1)(ص 187) [↑](#footnote-ref-7)
8. التوقيف على مهمات التعاريف(121). المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) [↑](#footnote-ref-8)
9. والكليات للكفوي (ص1/ص889). أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي

   (المتوفى: 1094هـ) المحقق: عدنان درويش - محمد المصري [↑](#footnote-ref-9)
10. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين(ج1/347/348) لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي الطبعة: الثالثة، 1416 هـ - 1996م [↑](#footnote-ref-10)
11. في الآية دليل على أفضلية صدقة الماء، وفي الحديث: "أي الصدقة أعجب إليك؟ قال: الماء" وليس أدل من حديث الذي سقى كلباً عطشان فشكر الله له فغفر له. [↑](#footnote-ref-11)
12. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير لجابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكرا لجزائري ط الخامسة (ج 2ص 178) [↑](#footnote-ref-12)
13. أسباب نزول القرآن (1/ 216) أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي

    (المتوفى: 468هـ) المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان الطبعة: الثانية، 1412 هـ - 1992م [↑](#footnote-ref-13)
14. روي أن أبا جهل وجماعة معه من رجالات قريش مرّوا بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالوا يا محمد ما نكذّبك وإنّك عندنا لصادق ولكن نكذّب ما جئت به. وهذه الآية شاهد لصحة هذه الرواية، ومعنى يكذّبونك ينسبونك إلى الكذب ويردون قولك. [↑](#footnote-ref-14)
15. أيسر التفاسير للجزائري(ج2/ص53) [↑](#footnote-ref-15)
16. جامع البيان في تأويل القرآن (ج11/ص339) لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)المحقق: أحمد محمد شاكر الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م

    [↑](#footnote-ref-16)
17. جامع البيان في تأويل القرآن تفسير الطبري (ج17/ص252) [↑](#footnote-ref-17)
18. تفسير السعدي (ج1/ص 444**)** تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق. [↑](#footnote-ref-18)
19. **أيسر التفاسير للجزائري(ج4/ص** **142)** [↑](#footnote-ref-19)
20. **أيسر التفاسير للجزائري** (ج4/ص217) [↑](#footnote-ref-20)
21. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) (ج 6/ص 314) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)المحقق: محمد حسين شمس الدين الطبعة: الأولى - 1419 هـ [↑](#footnote-ref-21)
22. التفسير القرآني للقران (ج12/ص/1260/1261/1259)المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)

    [↑](#footnote-ref-22)
23. التفسير الموضوعي لسور القران الكريم جامعة الشارقة ا.د مصطفي مسلم ( ج 6/ص584) [↑](#footnote-ref-23)
24. التفسير القرآني للقرآن(ج6/ص1158/1159/1160) [↑](#footnote-ref-24)
25. ظلال القران (ج4/ص1901)لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ) **الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ** [↑](#footnote-ref-25)
26. أيسر التفاسير للجزائري (ج 4/ص9/10) [↑](#footnote-ref-26)
27. ظلال القران سيد قطب (ج 5/ص2630**)** [↑](#footnote-ref-27)
28. التفسير الموضوعي لسور القران الكريم جامعة الشارقة ا.د مصطفى مسلم المجلد7 / ص16/17/18 [↑](#footnote-ref-28)
29. أيسر التفاسير للجزائري مجلد( 5/ص62/ص63 ) [↑](#footnote-ref-29)
30. التفسير الكبير الرازي مجلد 28/ص25/26 مفاتيح الغيب = التفسير الكبير أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ) الطبعة: الثالثة - 1420 هـ [↑](#footnote-ref-30)
31. (لهواته) جمع لهاة وهي اللحمة المتعلقة في أعلى الحنك وترى عند الضحك الشديد. [↑](#footnote-ref-31)
32. (عرف في وجهه) أي تغير وجهه وبدت عليه الكراهية والخوف [↑](#footnote-ref-32)
33. صحيح البخاري (4829) وصحيح مسلم (899) [↑](#footnote-ref-33)
34. الصبا (بالفتح): ريح الشمال. والدبور: ريح الجنوب. [↑](#footnote-ref-34)
35. التفسير القران للقران(ج12/ص1310/1311/1312) [↑](#footnote-ref-35)